وقال: حدَّثنا إسماعيلُ ابن عُليَّةَ، عن داودَ بنِ أبي هندٍ، أنَّ محمدَ بنَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ سمعَ قومًا يتكلَّمونَ بالفارسيَّةِ، فقال: ما بالُ المجوسيَّةِ بعدَ الحَنيفيَّةِ؟

وقد رَوى السِّلَفِيُّ من حديثِ سعيدِ بن العلاءِ البرذَعيِّ، حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ البلخيُّ، حدَّثنا عمرُ بن هارونَ البلخيُّ، حدَّثنا أسامةُ بن زيدٍ، عن نافعٍ، عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَن يُحْسِن أن يَتكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ فلا يَتكَلَّمْ بالعَجَمِيَّةِ، فإنَّه يورثُ النِّفَاقَ**».

ورَواه أيضًا بإسنادٍ آخرَ معروفًا إلى أبي سهلٍ محمودِ بن عمرَ العكبريِّ: حدَّثنا محمدُ بن الحسنِ بن محمدٍ المُقْري، حدَّثنا أحمدُ بن خَليلٍ -ببَلْخ- حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الحَريريُّ، حدَّثنا عمرُ بن هارونَ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَن كَان يُحْسِنُ أن يَتكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ فلا يَتكَلَّمُ بالفَارِسِيَّةِ، فإنَّه يورثُ النِّفَاقَ**».

وهذا الكلامُ يشبهُ كلامَ عمرَ بنِ الخطابِ وأما رفعُهُ: فموضعُ تبيُّنٍ.

ونُقلَ عن طائفةٍ منهم: أنَّهم كانوا يتكلَّمونَ بالكلمةِ بعدَ الكلمةِ من العجميَّةِ.

قال أبو خَلْدَة: «كَلَّمَني أبو العَاليَةِ بالفَارِسِيَّةِ».

وقال منذرٌ الثوريُّ: «سألَ رجلٌ محمدَ ابن الحنفيَّةِ عن الجُبنِ؟ فقال: يا جاريةُ اذهبي بهذا الدرهَمِ فاشتري به نَبيزًا، فاشترتْ به نَبيزًا، ثم جاءتْ به» يعني: الجُبنَ.

وفي الجملةِ: فالكلمةُ بعد الكلمةِ من العجميَّةِ أمرُها قريبٌ، وأكثرُ ما يَفعلونَ ذلكَ، إما لكونِ المخَاطَبِ أعجميًّا، أو قدِ اعتادَ العجميَّةَ، يريدونَ تقريبَ الأفهامِ عليه، كما قال النبيُّ ﷺ لأمِّ خالدٍ بنتِ خالدِ بنِ سعيدِ بن العاصِ -وكانت صغيرةً، قد وُلدتْ بأرضِ الحبشةِ، لما هاجرَ أبُوها-: فكسَاها النبيُّ ﷺ خَمِيصَةً، وقال: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذا سَنَا**»، والسَّنَا بِلُغَةِ الحبشة: الحَسَنُ.

وروي عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال لمنْ أَوجَعَهُ بطنُهُ: «أُشْكُمْ بِدَرْد»[١]، وبعضُهم يرويه مَرفوعًا، ولا يصحُّ.

وأمَّا اعتيادُ الخطابِ بغيرِ اللغةِ العربيةِ التي هي شِعارُ الإسلامِ ولغةُ القرآنِ، حتى يصيرَ ذلكَ عادةً للمصرِ وأهلِهِ، أو لأهلِ الدارِ، أو للرجلِ مع صاحبِه، أو لأهلِ السوقِ، أو للأمراءِ، أو لأهلِ الديوانِ، أو لأهلِ الفقهِ، فلا ريبَ أن هذا مكروهٌ فإنه من التشبُّهِ بالأعاجِمِ، وهو مكروهٌ كما تقدَّمَ.

ولهذا كان المسلمونَ المتقدِّمونَ، لَمَّا سَكنوا أرضَ الشامِ ومصرَ، ولغةُ أهلِهما روميَّةٌ، وأرضَ العراقِ وخراسانَ، ولغةُ أهلِهما فارسيَّةٌ، وأهلَ المغربِ، ولغةُ أهلِها بَربريَّةٌ: عَوَّدوا أهلَ هذه البلادَ العربيَّةَ، حتى غلبتْ على أهلِ هذه الأمصارِ: مسلمِهم وكافرِهم، وهكذا كانت خراسانُ قديمًا، ثم إنَّهم تساهلوا في أمرِ اللغةِ، واعتادُوا الخطابَ بالفارسيَّةِ، حتى غَلَبَتْ عليهم، وصارتِ العربيةُ مهجورةً عند كثيرٍ منهم، ولا ريبَ أن هذا مكروهٌ.

إنَّما الطريقُ الحسنُ: اعتيادُ الخطابِ بالعربيَّةِ، حتى يتلقَّنَها الصغارُ في المكاتبِ وفي الدورِ، فيظهرُ شعارُ الإسلامِ وأهلِهِ، ويكون ذلكَ أسهلَ على أهلِ الإسلامِ في فقهِ معاني الكتابِ والسُّنَّةِ وكلامِ السَّلفِ، بخلافِ من اعتادَ لغةً ثم أرادَ أن يَنتقلَ إلى أخرى فإنَّه يَصعُبُ.

واعلمْ أن اعتيادَ اللغةِ يُؤثرُ في العقلِ والخُلقِ والدِّينِ، تأثيرًا قويًّا بيِّنًا، ويُؤثرُ أيضًا في مشابَهةِ صدرِ هذه الأمَّةِ من الصحابةِ والتابعينَ، ومشابهتُهم تزيدُ العقلَ والدِّينَ والخُلقَ.

---

[١] أشكم: بألف زائدة، ولعلَّها في ذلك الوقت غير زائدة، ويُقال: شُكُم بِدَرْد.

وأيضًا فإنَّ نفسَ اللغةِ العربيَّةِ من الدِّينِ، ومعرفتُها فرضٌ واجبٌ؛ فإنَّ فَهْمَ الكتابِ والسُّنَّةِ فرضٌ، ولا يُفهم إلا بفَهمِ اللغةِ العربيَّةِ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهوَ واجبٌ.

ثم منها: ما هو واجبٌ على الأعيانِ، **ومنها:** ما هو واجبٌ على الكفايةِ.

وهذا معنى ما رَواه أبو بكر ابنُ أبي شيبةَ قال: حدَّثنا عيسى بن يونسَ، عن ثورٍ، عن عمرَ بنِ زيدٍ قال: «كتبَ عمرُ إلى أبي موسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أمَّا بعدُ، فتفقَّهوا في السُّنَّةِ، وتفقَّهوا في العربيَّةِ، وأعرِبوا القرآنَ فإنه عربيٌّ».

وفي حديثٍ آخرَ عن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قالَ: «تعلَّموا العربيَّةَ، فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ، فإنها من دينِكم».

وهذا الذي أمرَ به عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فِقهِ العربيَّةِ وفقهِ الشريعةِ: يجمعُ ما يُحتاج إليه؛ لأنَّ الدِّينَ فيه أقوالٌ وأعمالٌ، ففقهُ العربيَّةِ: هو الطريقُ إلى فقهِ أقوالِهِ، وفقهُ السُّنَّةِ هو فقهُ أعمالِهِ.

وأمَّا الاعتبارُ في مسألةِ العيدِ: فمن وجوهٍ:

أحدها: أنَّ الأعيادَ من جملةِ الشرعِ والمناهجِ والمناسكِ، التي قال اللهُ سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧] كالقِبلةِ والصلاةِ والصيَامِ، فلا فرقَ بين مشاركتِهم في العيدِ وبينَ مشاركتِهم في سَائرِ المناهجِ، فإنَّ الموافقةَ في جميعِ العيدِ موافقةٌ في الكفرِ، والموافقةُ في بعضِ فُروعِهِ موافقةٌ في بعضِ شُعبِ الكفرِ؛ بل الأعيادُ هي من أخصِّ ما تتميَّزُ به الشرائعُ، ومن أظهرِ ما لها من الشعَائرِ، فالموافقةُ فيها موافقةٌ في أخصِّ شرائعِ الكفرِ وأظهرِ شعائرِهِ، ولا ريبَ أن الموافقةَ في هذا قد تَنتهي إلى الكفرِ في الجملةِ بشروطِهِ.

وأما مَبدَؤها: فأقلُّ أحوالِهِ: أن تكونَ معصيةً وإلى هذا الاختصاصِ أشارَ النبيُّ ﷺ بقولِهِ: «**إنَّ لِكُلِّ قَومٍ عِيدًا، وإنَّ هَذا عِيدُنَا**» وهذا أقبحُ من مشاركتِهم في لِبسِ الزُّنَّارِ ونحوِهِ من علاماتِهم، لأنَّ تلك علامةٌ وضعيَّةٌ ليستْ من الدِّينِ، وإنما الغرضُ منها مُجَرَّدُ التمييزِ بين المسلمِ والكافرِ، وأما العيدُ وتوابعُهُ فإنَّه من الدِّينِ الملعُونِ هو وأهلُهُ، فالموافقةُ فيه موافقةٌ فيما يتميَّزونَ به من أسبابِ سخطِ اللهِ وعقابِهِ[١].

وإن شئتَ أن تَنْظمَ هذا قياسًا تمثيليًّا، قلتَ: شريعةٌ من شرائعِ الكفرِ، أو شَعيرة من شَعائرِهِ، فحرُمتْ مُوافقتُهم فيها كسائرِ شَعائرِ الكفرِ وشرائِعِهِ، وإن كان هذا أبينَ من القياسِ الجزئيِّ.

ثمَّ كلُّ ما يختصُّ به ذلكَ من عبادةٍ وعادةٍ فإنَّما سببُهُ هو كونُه يومًا مخصوصًا، وإلا فَلو كان كسائرِ الأيامِ لم يختصَّ بشيءٍ، وتخصيصُهُ ليسَ من دِينِ الإسلامِ في شيءٍ؛ بل كفرٌ بِهِ.

الوجهُ الثاني: أنَّ ما يفعلونَهُ في أعيادِهم معصيةٌ للهِ؛ لأنَّه إما مُحدَثٌ مبتدَعٌ وإما منسوخٌ، وأحسنُ أحوالِهِ -ولا حُسنَ فيه- أن يكونَ بمنزلةِ صلاةِ المسلمِ إلى بيتِ المقدسِ، هذا إذا كانَ المفعولُ مما يُتديَّنُ به، وأمَّا ما يتبعُ ذلك من التوسعِ في العاداتِ منَ الطعامِ واللِّباسِ، واللَّعبِ والراحةِ، فهو تابعٌ لذلك العيدِ الدِّينيِّ، كما أنَّ ذلك تابعٌ له في دينِ اللهِ الإسلامِ، فيكونُ بمنزلةِ أن يتَّخذَ بعضُ المسلمينَ عيدًا مُبتدَعًا

---

[١] **الزُّنَّار**: شيء يربطون به بطونهم كالحزام، وله شكلٌ معيَّن.

مسألة: قال بعض العلماء رحمهم الله: مَن لَبس الزنار فقد كفَر؛ وليس بصحيحٍ، لكن إن كان قصده أنَّه كفر؛ يعني: في ظاهر حاله لأنَّه شابَهَ الكفَّار، أمَّا أنْ يكون رِدَّة فليس برِدَّةٍ.

يخرجُ فيه إلى الصحراءِ، ويَفعلُ فيه من العباداتِ والعاداتِ من جنسِ المشروعِ في يَومي الفطرِ والنحرِ، أو مثلَ أن ينصبَ بَنِيَّةً[١] يُطافُ بها ويُحجُّ، ويَصنعُ لمن يَفعلُ ذلك طعامًا ونحوَ ذلك، فلو كرِهَ المسلمُ ذلك، لكنْ غيَّرَ عادتَهُ ذلكَ اليومَ، كما يُغيِّرُ أهلُ البدعةِ عادتَهم في الأمورِ العاديةِ، أو في بعضِها بصنَعةِ طعامٍ، وزينةٍ ولِباسٍ وتوسيعٍ في نفقةٍ ونحوِ ذلك، من غيرِ أن يتعبَّدَ بتلك العادةِ المُحدَثَةِ: ألم يكن هذا من أقبحِ المنكَرَاتِ؟! فكذلكَ موافقةُ هؤلاءِ المغضوبِ عليهم والضَّالينَ وأشدُّ.

نعم، هؤلاءِ يُقَرُّونَ على دينِهم المُبتَدَعِ والمنسوخِ مُستسرِّينَ به، والمسلمُ لا يُقَرُّ على مُبتدَعٍ ولا منسوخٍ، لا سرًّا ولا علانِيةً، وأما مُشابَهةُ الكفَّارِ فكمُشابَهةِ أهلِ البدعِ وأشدُّ.

الوجهُ الثالثُ: أنَّه إذا سُوِّغَ فِعلُ القليلِ من ذلك أدَّى إلى فعلِ الكثيرِ، ثم إذا اشتَهَرَ الشيءُ دخلَ فيه عوامُّ الناسِ، وتَناسوا أصلَهُ، حتى يصيرَ عادةً للناسِ بل عيدًا، حتى يُضاهى بعيدِ اللهِ، بل قد يُزادُ عليهِ، حتى يكادَ أن يُفضي إلى موتِ الإسلامِ وحياةِ الكفرِ، كما قد سوَّلهُ الشيطانُ لكثيرٍ ممن يدَّعِي الإسلامَ فيما يَفعلونَهُ في أواخرِ صومِ النصَارى: منَ الهَدايا والأفراحِ والنفقاتِ، وكِسوَةِ الأولادِ، وغيرِ ذلك مما يصيرِ به مثلَ عيدِ المسلمينَ؛ بلِ البلادُ المُصَاقِبَةُ للنصَارى التي قلَّ علمُ أهلِها وإيمانُهم قد صارَ ذلك أغلبَ عندَهم، وأبْهى في نفوسِهم من عيدِ اللهِ ورسولِهِ -على ما حدَّثَني به الثقاتُ-.

وأمَّا ما رأيته بدمشقَ وما حولَها من أرضِ الشامِ، مع أنَّها أقربُ إلى العلمِ والإيمانِ؛ فهذا الخميسُ الذي يكونُ في آخرِ صومِ النصَارى، يدورُ بدورانِ صومِهم

---

[١] قوله: «بنيَّة»: فَعِيلة بمعنى مفعولة؛ مثل: أنْ ينصب حجرة، ويقول للناس: حجُّوا إلى هذه، أو يحجُّ هو ويطوف بها.

الذي هو سبعةُ أسابيعَ، وصومُهم -وإن كانَ في أوائلِ الفصلِ الذي تسمِّيهِ العربُ الصيفَ، وتسمِّيهِ العامَّةُ الربيعَ- فإنَّه يتقدَّمُ ويتأخَّرُ، ليس له حدٌّ واحدٌ من السنَةِ الشمسيَّةِ -كالخميسِ الذي هو في أوَّلِ نيسانَ- بل يدورُ في نحوِ ثلاثةٍ وثلاثينَ يومًا، لا يتقدَّمُ أوَّلُهُ عن ثاني شُباط، ولا يتأخَّرُ أوَّلهُ عن ثامنِ آذار، بل يَبتدئونَ بالاثنينِ الذي هو أقربُ إلى اجتماعِ الشمسِ والقمرِ في هذه المدَّةِ ليُراعوا -كما زعموا- التوقيتَ الشمسيَّ والهلاليَّ.

وكلُّ ذلكَ بِدَعٌ أحدثُوها باتِّفاقٍ منهم، خَالفوا بها الشريعَةَ التي جاءتْ بها الأنبياءُ، فإن الأنبياءَ ما وقَّتوا العباداتِ إلا بالهلالِ، وإنَّما اليهودُ والنصَارى حرَّفوا الشرائعَ تحريفًا ليسَ هذا موضِعَ ذكرِهِ.

ويلي هذا الخميسَ: يومُ الجمُعةِ الذي جعلُوه بإزاءِ يومِ الجمُعةِ التي صُلِبَ فيها المسيحُ، على زعمِهمُ الكاذبَ، يسمُّونَها جمعةَ الصَّلبوت، ويليه ليلةُ السبتِ التي يزعُمونَ أن المسيحَ كان فيها في القبرِ، وأظنُّهم يسمُّونها ليلةَ النورِ، وسبتَ النورِ، ويَصطنِعونَ مخرقةً يروِّجُونها على عامَّتِهم لغلبةِ الضلالِ عليهم، يُخيِّلونَ إليهم أن النورَ ينزلُ من السماءَ في كَنيسةِ القمامَةِ، التي ببيتِ المقدسِ، حتى يَحملوا ما يُوقدُ من ذلكَ الضوءِ إلى بلادِهم مُتبرِّكِينَ به، وقد عَلِمَ كلُّ ذي عقلٍ أنَّه مصنوعٌ مفتعلٌ[1].

ثمَّ يوم السبتِ يَتطلَّبونَ اليهودَ، ويوم الأحدِ يكونُ العيدُ الكبيرُ عندَهم، الذي يزعُمونَ أن المسيحَ قام فيه.

---

[١] قوله: «كنيسة القمامة»؛ القمامة عَلَمٌ عليها؛ لأنَّ اليهود وضَعُوا عليها القمامة احتقارًا لها، فاشتهرت بهذا.

مسألة: ضرب النَّواقيس للنصارى عندَ الكنائس في بلاد الإسلام هو من شَعائرهم، ويجبُ منعُه.

ثمَّ الأحدُ الذي يلي هذا يسمُّونَهُ: الأحدَ الحديثَ، يَلْبَسُونَ فيه الجديدَ من ثيابِهم، ويَفعَلُونَ فيه أشياءَ، وكلُّ هذه الأيامِ عندَهم أيامُ عيدٍ، كما أنَّ يومَ عرفةَ ويومَ النحرِ وأيامَ منًى عيدُنا أهلَ الإسلامِ، وهم يصومُونَ عن الدَّسَمِ، ثم في مُقدَّمِ فطرِهم يُفطِرونَ أو بعضُهم على ما يَخرجُ من الحيوانِ من لبنٍ وبيضٍ ولحمٍ، ورُبَّما كان أوَّلُ فطرِهم على البيضِ، ويَفعلونَ في أعيادِهم وغيرِها من أمورِ دينِهم أقوالًا وأعمالًا لا تَنضبطُ، ولهذا تَجدُ نقلَ العلماءِ لمقالاتِهم وشرائِعِهم تختلفُ، وعامَّتُهُ صحيحٌ.

وذلكَ أنَّ القومَ يزعمونَ أن ما وضعَهُ رؤساءُ دينِهم من الأحبارِ والرهبَانِ من الدِّينِ فقد لزمَهم حكمُهُ، وصارَ شرعًا شَرَعَهُ المسيحُ في السماءِ، فهُم في كلِّ مدةٍ ينسخُونَ أشياءَ ويَشْرَعُونَ أشياءَ من الإيجاباتِ والتحريماتِ، وتأليفِ الاعتقاداتِ وغيرِ ذلك، مخالفًا لما كانوا عليه قبلَ ذلكَ، زعمًا منهم أن هذا بمنزلَةِ نسخِ اللهِ شريعةً بشريعةٍ أخرى.

فهُم واليهودُ في هذا البابِ وغيرِهِ على طَرفي نقيضٍ، اليهودُ تمنعُ أن يَنسخَ اللهُ الشرائعَ، أو يبعثَ رسولًا بشريعةٍ تُخالفُ ما قبلَها، كما أخبرَ اللهُ عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٢] والنصَارى تُجيزُ لأحبارِهم ورهبانِهم شَرْعَ الشرائعِ ونسخَها؛ فلذلكَ لا ينضبطُ للنصَارى شريعةٌ تُحكى مستمرةٌ على الأزمانِ.

وغرضُنا لا يتوقَّفُ على معرفةِ تفاصيلِ باطلِهم، ولكن يَكفينا أن نعرفَ المنكرَ معرفةً تُمَيِّزُ بينهُ وبين المباحِ المعروفِ، والمستحبِّ والواجبِ، حتى نتمكَّنَ بهذه المعرفةِ من اتِّقائِهِ، واجتنابِهِ، كما نعرفُ سائرَ المحرَّماتِ، إذ الفرضُ علينا تركُها، ومن لم يعرفِ المنكرَ جملةً ولا تفصيلًا؛ لم يتمكَّنْ من قَصدِ اجتنابِهِ، والمعرفةُ الجمليةُ كافيةٌ، بخلافِ الواجباتِ، فإنَّ الغرضَ لما كان فعلَها، والفعلُ لا يتأتى إلا مفصَّلًا، وجبت معرفتُها على سبيلِ التفصيلِ.

وإنَّما عَدَدتُ أشياءَ من مُنكراتِ دينِهم لما رأيتُ طوائفَ المسلمينَ قد ابتُلِيَ ببعضِها، وجَهِلَ كثيرٌ منهم أنها من دينِ النصَارى الملعونِ هو وأهلُهُ[١].

وقد بلغني أيضًا أنَّهم يَخرجونَ في الخميسِ الذي قبلَ ذلكَ، أو يومَ السبتِ أو غير ذلك، إلى القُبورِ يُبخِّرونَها، وكذلك يَنحرونَ في هذه الأوقاتِ، وهم يَعتقدونَ أن في البخورِ بَركـةً ودفعَ أذًى، وراءَ كونِهِ طيبًا، ويَعُدُّونَهُ من القرابينِ، مثلَ الذبائحِ،

---

[١] أمَّا أهله فلا شكَّ أنَّهم ملعونون؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لعنةُ الله على اليهود والنَّصارى**»(١)، وأمَّا دِينُهم فالمراد دِينُهم الذي هم عليه الآن مَلعون؛ لأنَّه ليس دِين الله، بل ولا دِين المسيح عليه الصلاة والسلام.

فإذا قال قائلٌ: إنَّ بعض الناس يقولُ للرجل المسلم: الله يلعن دينك، فهو يكفر بهذا أم لا؟

فالجواب: فيه تفصيل؛ إنْ أراد بقوله: الله يلعن دينك، دينَ الإسلام من حيث هو دِينُ الإسلام، فهو كافرٌ؛ لأنَّ هذا من أعظم السبِّ للدِّين، وإن أراد: الله يلعن دينك؛ أي: الذي أنت عليه من العمل، وهذا يُقال غالبًا عندما يضلُّ الرجل بسَفَهٍ أو غيره، فيقول: الله يلعن دينه؛ أي: عمله الذي هو عليه المخالف للدِّين الإسلامي.

فيكون في هذا تفصيلٌ: إن أراد لعنَ الدِّين الإسلامي فهو مرتدٌّ كافر، وإن أراد لعنَ ما عليه هذا الرجل مما يدَّعي أنَّه دِين الإسلام وهو مخالفٌ لدِين الإسلام، فلا يكفر، وإلا فيُنهَى عن هذه الكلمة مُطلَقًا؛ لأنَّ العاميَّ لا يدري هذا التفصيل؛ ولذلك تجدُ العامَّة إذا رأوا مَن يقول: الله يلعن دينك، يحكُمون بكفره بدون تفصيل، فهذه الكلمة لا شكَّ أنَّها مُنكَرة، لكن الكلام هل تُوصِل إلى الكفر أو لا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٥٣١)، عن عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ويزفُّونَهُ بنُحاسٍ يضربونَهُ كأنَّه ناقوسٌ صغيرٌ، وبكلامٍ مصنَّفٍ، ويُصَلِّبُونَ على أبوابَ بُيوتِهم[١] إلى غيرِ ذلك من الأمورِ المنكرةِ، ولستُ أعلمُ جميعَ ما يفعلونَهُ، وإنما ذكرتُ ما رأيتُ كثيرًا من المسلمينَ يفعلونَهُ، وأصلهُ مأخوذٌ عنهم حتى إنَّه كانَ في مدةِ الخميسِ تبقى الأسواقُ مملوءةً من أصواتِ هذه النواقيسِ الصغارِ، وكلامِ الرَّقائِينَ من المنجِّمينَ وغيرِهم بكلامٍ أكثرُهُ باطلٌ، وفيه ما هو محرَّمٌ أو كفرٌ.

وقد أُلْقِيَ إلى جماهيرِ العامَّةِ أو جميعِهم إلا من شاءَ اللهُ -وأعني بالعامَّة هنا كلَّ من لم يعلمْ حقيقةَ الإسلامِ- فإنَّ كثيرًا ممن ينتسبُ إلى فقهٍ أو دينٍ، قد شاركَ في ذلكَ: أُلقيَ إليهم أنَّ هذا البخورَ المرقِيَّ يُنتفعُ ببركتِهِ من العينِ والسحرِ والأدواءِ والهوامِّ[٢]، ويُصوِّرونَ في أوراقٍ صورَ الحياتِ والعقاربِ، ويلصَقونَها في بُيوتهم، زعمًا أنَّ تلكَ الصورَ الملعونَ فاعلُها التي لا تدخلُ الملائِكةُ بيتًا هي فيه -تمنعُ الهوامَّ، وهو ضربٌ من طلاسمِ الصَّابئةِ[٣].

ثمَّ كثيرٌ منهم -على ما بلغني- يُصَلِّبُ بابَ البيتِ.

---

[١] قوله: «يُصَلِّبون» أي: يضَعون عليها الصَّلِيب.

[٢] والآن بعضُ ممَّن يُشَعوِذون عندنا يطلبون من المريض أن يتبخَّر بكذا أو يذبح الديك الأسود، ممَّا يُظن أنَّ الشياطين هي التي تأمُرهم بهذا؛ ولذلك لا يجوز للإنسان أن يعتمدَ على مثلِ هذه الشعوذة.

[٣] نسمَعُ أنَّ بعضهم يجعلون جلود الذِّئاب في مَنازلهم، ويدَّعون أنَّ الجن تنفر منها، وهذا لا حَقِيقةَ له، وبعضهم يأتي بجَرْوٍ صغير من الذِّئاب ويجعله عنده، والذئب لا يأكُل إلا اللحم تجده يُنْفِق عليه الكثير، فيشتري لحمًا كثيرًا نصفه لأهل البيت ونصفه لهذا الذئب! وهذا غلطٌ.

ويَخرجُ خلقٌ عظيمٌ في الخميسِ المتقدِّمِ على هذا الخميسِ يُبخِّرونَ المقابرَ، ويُسمونَ هذا المتأخرَ: الخميسَ الكبيرَ، وهو عندَ اللهِ الخميسُ المَهينُ الحقيرُ هو وأهلُهُ ومن يُعَظِّمُهُ، فإنَّ كلَّ ما عُظِّمَ بالباطلِ من مكانٍ أو زمانٍ أو حجرٍ أو شجرٍ أو بَنِيَّةٍ يجب قَصدُ إهانتِهِ، كما تُهان الأوثانُ المعبودةُ، وإن كانت لولا عبادتها لكانت كسائرِ الأحجارِ.

ومما يفعلُه الناسُ منَ المنكراتِ أنَّهم يُوظِّفُونَ على الأَكَرَةِ وظائفَ -أكثرُها كرهًا- من الغَنمِ والدجاجِ واللبنِ والبيضِ، فيجتمعُ فيها تحريمانِ: أكلُ مالِ المسلمِ أو المعاهَدِ بغيرِ حقٍّ، وإقامةُ شِعارِ النصَارى، ويجعلُونَهُ ميقاتًا لإخراجِ الوكَلاءِ على المزارعِ، ويَطْبخُونَ فيه، ويَصبغُونَ فيه البيضَ، ويُنفقونَ فيه النفقاتِ الواسعةِ، ويُزيِّنونَ أولادَهم، إلى غيرِ ذلك من الأمورِ التي يَقشعرُّ منها قلبُ المؤمنِ الذي لم يمتْ قلبهُ، بل يَعرفُ المعروفَ، ويُنكرُ المنكرَ.

وخلقٌ كثيرٌ منهم يَضعونَ ثيابَهم تحتَ السماءِ رجاءً لبركةِ مرورِ مريمَ عليها، فهلْ يَسْتَرِيبُ من في قلبِهِ أدنى حياةٍ من الإيمانِ أنَّ شريعةً جاءت بما قدَّمنا بعضَهُ من مخالفةِ اليهودِ والنصَارى لا يرضى من شرعها ببعضِ هذه القبائحِ؟

ويفعلونَ ما هو أعظمُ من ذلكَ: يطلونَ أبوابَ بُيوتِهم ودوابِّهم بالخَلوقِ والمغرةِ وغيرِ ذلك، وذلكَ من أعظمِ المنكراتِ عند اللهِ تعالى، فاللهُ تعالى يَكفينا شرَّ المُبتدعَةِ، وباللهِ التوفيقُ[١].

وأصلُ ذلكَ كلِّهِ: إنما هو اختصاصُ أعيادِ الكفَّارِ بأمرٍ جديدٍ، أو مشابَهتُهم في بعضِ أمورِهِم.

---

[١] قوله: «ويفعلون ما أعظم» إلى قوله: «وبالله التوفيق»، الظاهر أنَّ هذا ليس من كلام الشيخ رحمه الله، ونسأل الله أن يكفينا شرَّ المبتدعة، ولعلَّها كانت حاشية قديمة وألحقت بالكتاب.

يوضِّحُ ذلكَ: أن الأسبوعَ الذي يقعُ في آخرِ صَومِهم يُعظِّمونَهُ جدًّا ويسمُّونَ خميسَهُ الخميسَ الكبيرَ، وجمعتَهُ الجمعةَ الكبيرةَ، ويَجتهدونَ في التعبُّدِ فيه ما لا يَجتهدونَ في غيرِهِ بمنزلةِ العشرِ الأواخرِ من رمضانَ في دينِ اللهِ ورسولِهِ، والأحدُ الذي هو أوَّلُ الأسبوعِ يَصطنعونَ فيه عيدًا يسمُّونَهُ الشَّعانِينَ، هكذا نَقلَ بعضُهم عنهم، ونقلَ بعضُهم عنهم: أن الشَعانينَ هو أوَّلُ أحدٍ في صومِهم، يخرجُونَ فيه بورقِ الزيتونِ ونحوِهِ، ويزعُمونَ أن ذلكَ مشابَهةٌ لما جرى للمسيحِ عليه السلامُ حينَ دخلَ إلى بيتِ المقدسِ راكبًا أتانًا مع جَحشِها، فأمرَ بالمعروفِ ونَهى عن المنكرِ؛ فثارَ عليه غوغاءُ الناسِ، وكانَ اليهودُ قد وكَّلوا قومًا معهم عصيٌّ يَضربونَهُ بها، فأورَقَتْ تلكَ العصيُّ، وسجدَ أولئكَ للمسيحِ؛ فعيدُ الشعانينَ مشابَهةٌ لذلكَ الأمرِ، وهو الذي سُمِّي في شروطِ عمرَ وكتبِ الفقهِ «أن لا يُظهروهُ في دارِ الإسلامِ» ويسمُّونَ هذا العيدَ، وكلَّ مَخرجٍ يَخرجونَهُ إلى الصحراءِ: باعوثًا، فالباعوثُ: اسم جنسٍ لما يَظهرُ به الدِّينُ، كعيدِ الفطرِ والنَّحرِ.

فما يَحكونَهُ عن المسيحِ صلواتُ الله عليه وسلامُهُ من المعجزاتِ هو في حيِّزِ الإمكانِ لا نكذِّبُهم فيه، لإمكانِهِ، ولا نصدِّقُهم، لجهلِهم وفسقِهم[١].

وأما موافقتُهم في التَّعييدِ فإحياءُ دينٍ أحدثُوهُ أو دينٍ نسخَهُ اللهُ.

ثم الخميسُ الذي يسمُّونَهُ الخميسَ الكبيرَ يزعمونَ أن في مثلِهِ نزلتِ المائدةُ التي ذكرها اللهُ في القرآنِ حيثُ قال: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]

---

[١] هذا من العدل التامِّ يقول رحمه الله: ما يذكُرونه من المعجزات في حيِّز الإمكان لا نكذبهم فيه؛ لأنَّه ممكنٌ، لكن لا نُصدِّقهم لسببين: الأول: الجهل، والثاني: الفسق، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات:٦].

فيومُ الخميسِ هو يومُ عيدِ المائدةِ، ويومُ الأحدِ: يسمُّونَهُ عيدَ الفصحِ، وعيدَ النورِ، والعيدَ الكبيرَ، ولَمَّا كان عيدًا صاروا يَصنعونَ لأولادِهمُ البيضَ المصبوغَ ونحوَهُ؛ لأنَّهم فيه يأكلونَ ما يَخرجُ من الحيوانِ من لحمٍ ولبنٍ وبيضٍ، إذ صَومُهم هو عن الحيوانِ وما يَخرجُ منه، وإنَّما يَأكلونَ في صومِهم الحبَّ، وما يُصنعُ منه، من زيتٍ وشَيْرَجٍ ونحوِ ذلكَ.

وعامَّةُ هذه الأعمالِ المحكِيَّةِ عن النصَارى وغيرها مما لم يُحك قد زيَّنَها الشيطانُ لكثيرٍ ممن يدَّعي الإسلامَ، وجَعلَ لها في قلوبِهم مكانةً وحسنَ ظنٍّ، وزَادوا في بعض ذلكَ ونَقصُوا، وقدَّموا وأخَّروا، إمَّا لأن بعضَ ما يفعلونَهُ قد كانَ يفعلُهُ بعضُ النصَارى، أو غيَّروهُ هم من عندِ أنفسِهم، كما قد يُغيِّرونَ بعضَ أمرِ الدِّينِ الحقِّ، لكن كلُّ ما خُصَّت به هذه الأيَامُ ونحوُها من الأيامِ التي ليسَ لها خصوصٌ في دينِ اللهِ، وإنَّما خصوصُها في الدِّينِ الباطلِ إنَّما أصلُ تخصيصِها من دينِ الكافرينَ، وتخصيصُها بذلكَ فيه مشابَهةٌ لهم، وليسَ لجاهلٍ أن يَعتقدَ أنَّ بهذا تحصلُ المخالفةُ لهم، كما في صومِ يومِ عاشوراءَ[١].....

---

[١] مُراده رحمه الله: أنَّ بعض المسلمين يُشاركهم فيما يفعلون في هذه الأعياد، ولكن يُخالفهم نوعَ مخالفة، ويظن أنَّه بهذا النوع من المخالفة صحَّ أنَّه لم يتشبَّه بهم، كما في صوم عاشوراء فإنَّنا نصومه لكن نصوم يومًا قبله أو يومًا بعده، وبذلك تحصُل المخالفة، فيظن بعض الناس أنَّنا إذا احتفَلْنا بأعيادِهم لكن خالفناهم في نوع الأكل وهيئته أو ما أشبه ذلك حصَلت المخالفة، يقول رحمه الله: هذا غلطٌ.

وبيَّن رحمه الله الفرقَ: أنَّ الصوم في عاشوراء كان مشروعًا، فأصله مشروع فيبقى على مشروعيَّته، ويُصام يوم قبله أو يوم بعده فتحصل المخالفة، أمَّا هذا فهو أصلًا غير مشروع.

لأنَّ ذلكَ فيما كانَ أصلُهُ مشروعًا لنا وهم يفعلُونَهُ، فإنَّا نخالفُهم في وصفِهِ، فأمَّا ما لم يَكن في دِيننا بحالٍ، بل هو من دينِهم المُبتدَعِ أو المنسوخِ: فليسَ لنا أن نُشابِهَهم لا في أصلِهِ، ولا في وصفِهِ، كما قدَّمنا قاعدةَ ذلك فيما مضى[١].

فإحداثُ ما في هذه الأيامِ التي يتعلَّقُ تخصيصُها بهم لا بِنا هو مُشابهةٌ لهم في أصلِ تخصيصِ هذه الأيامِ بشيءٍ فيه تعظيمٌ، وهذا بيِّنٌ على قولِ من يكرهُ صومَ يومِ النيروزِ والمهرَجَانِ، لاسيما إذا كانوا يُعظِّمونَ اليومَ الذي أُحدِثَ فيه ذلك.

ويَزيدُ ذلك وضوحًا: أن الأمرَ قد آلَ إلى أنَّ كثيرًا من الناسِ صَاروا في مثل هذا الخميسِ -الذي هو عندَ الكفَّارِ عيدُ المائدةِ- آخرِ خميسٍ في صومِ النصَارى الذي يسمُّونَهُ الخميسَ الكبيرَ -وهو الخميسُ الحقيرُ- يَجتمعونَ في أماكنَ اجتماعاتٍ عظيمةً، ويَصبغونَ البيضَ، ويَطبُخونَ باللبنِ، وينكتونَ بالحمرةِ دوابَّهم، ويَصطنعونَ الأطعمةَ التي لا تكادُ تُفعلُ في عيدِ اللهِ ورسولِهِ، ويتهادونَ الهدايا التي تكونُ في مثلِ مواسمِ الحجِّ، وعامَّتُهم قد نَسوا أصلَ ذلك وعلَّتَهُ، وبقي عادةً مطَّردةً كاعتيادِهم بعيدَيِ الفطرِ والنحرِ وأشدَّ.

واستعانَ الشيطانُ في إغوائِهم بذلكَ أنَّ الزمانَ زمانُ ربيعٍ، وهو مبدأُ العامِ الشمسيِّ، فيكونُ قد كثُرَ فيه اللَّحمُ واللبنُ والبيضُ ونحوُ ذلك، مع أن عيدَ النصَارى

وهذا يدلُّ على فقه شيخ الإسلام رحمه الله وتعمُّقه في الفقه، وإلا فقد يقول قائل: إذا حصَل نوع مخالفة فلا مشابهة؛ كصوم يوم عاشوراء، فيقال: الفرق أنَّ صوم يوم عاشوراء مشروع، وتحصل المخالفة بصيام يوم قبله أو يوم بعده، ولكن هذه الاحتفالات وهذه الأطعمة وهذه الأشياء التي تُوضَع على الجدران ليست مشروعةً أصلًا.

[١] أرأيتُم لو وضعوا احتفالًا بعيد الفطر، فهل نقول: لا نحتفل به؟ بل نحتفل، لأنَّه أصلًا مشروع، فنحتفل به، ونقول: هم الذين تابَعُونا في ذلك.

ليس هو يومًا محدُودًا من السنَةِ الشمسيَّةِ، وإنَّما يتقدَّمُ فيها ويتأخَّرُ في نحوِ ثلاثةٍ وثلاثينَ يومًا كما قدمنا.

وهكذا كلُّه تصديقُ قولِ النبيِّ ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» وسببُهُ مشابَهةُ الكفَّارِ في القليلِ من أمرِ عيدِهم وعدِم النهيِ عن ذلك.

وإذا كانتِ المشابَهةُ في القليلِ ذريعةً ووسيلَةً إلى بعضِ هذه القبائحِ كانت محرَّمةً، فكيفَ إذا أفضتْ إلى ما هو كفرٌ بالله؟ من التبرُّكِ بالصليبِ، والتعميدِ في المعموديةِ، أو قولِ القائلِ: «المعبودُ واحدٌ» وإن كانتِ الطرقُ مختلفةً، ونحوِ ذلك من الأقوالِ والأفعالِ التي تتضمَّنُ: إما كونَ الشريعةِ النصرانيَّةِ واليهوديَّةِ المبدَّلتينِ المنسُوخَتينِ موصلةً إلى اللهِ، وإمَّا استحسانَ بعضِ ما فيها مما يخالفُ دينَ اللهِ، أو التدُّينَ بذلك أو غيرَ ذلك مما هو كفرٌ بالله وبرسولِه وبالقرآنِ وبالإسلامِ بلا خلافٍ بين الأمَّةِ الوسَطِ في ذلك[1]، وأصلُ ذلكَ: المشابَهةُ والمشاركَةُ.

---

[١] هذه مسألة مهمَّة الآن، وهي: أنَّ بعض الملحدين يُحاولون أن يجمعوا بين الأديان الثلاثة: الإسلام واليهودية والنصرانية، ويقولون: الرب واحد، والهدف واحد، كلُّنا نؤمن باليوم الآخِر، كلُّنا نؤمن بالجنة والنار، وهكذا يريدون أن يُموِّهوا على العامَّة، ويقولون: إنَّ الاختلاف بين هذه الأديان الثلاثة كالاختلاف بين المذاهب الأربعة، إلا أنَّ الاختلاف بين المذاهب الأربعة في ملةٍ واحدة، والاختلاف بين الملل الثلاث أعمُّ وأوسع.

والشيخ رحمه الله يُبيِّن أنَّ هذا من الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وصدَق رحمه الله، ولا شكَّ أنَّ مَن اعتقد أنَّ دين اليهود والنصارى دين يَرْضاه الله فلا شكَّ عندنا في كُفره، وأنه مرتدٌّ خارج عن الإسلام، يجب أنْ يُستتاب فإنْ تاب وإلا قُتِل مرتدًّا؛ وذلك لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

وبهذا يتبيَّنُ لك كمالُ موقعِ الشريعةِ الحنِيفيَّةِ، وبُعدَ حكمةِ ما شَرَعَهُ اللهُ لرسولهِ من مبايَنةِ الكفَّارِ ومخالفتِهم في عامَّةِ أمورِهم؛ لتكونَ المخالفةُ أحسمَ لمادةِ الشرِّ، وأبعدَ عن الوقوعِ فيما وقعَ فيه الناسُ.

واعلمْ أنَّا لو لم نرَ موافقتَهم قد أَفضتْ إلى هذه القَبائحِ لكان علْمُنا بما الطباعُ عليه واستدلالُنا بأصولِ الشريعةِ، يُوجبُ النهيَ عن هذه الذريعةِ، فكيفَ وقد رَأينَا من المنكراتِ التي أَفضتْ إليها المشابَهةُ ما قد يُوجبُ الخروجَ من الإسلامِ بالكليَّةِ؟!

وسرُّ هذا الوجهِ: أن المشابَهةَ تُفضي إلى كفرٍ أو معصيةٍ غالبًا، أو تُفضي إليهما في الجملةِ، وليسَ في هذا المُفضي مصلحةٌ، وما أَفضى إلى ذلك كان محرَّمًا، فالمشابَهةُ محرَّمةٌ، والمقدِّمةُ الثانيةُ: لا ريبَ فيها، فإن استقراءَ الشريعةِ في مواردِها ومصادرِها دالٌّ على أن ما أَفضى إلى الكفرِ غالبًا حَرُمَ، وما أَفضى إليه على وجهٍ خفيٍّ حَرُمَ، وما أَفضى إليه في الجملةِ ولا حاجةَ تَدعو إليه حَرُمَ، كما قد تكلَّمنا على قاعدةِ الذرائعِ في غيرِ هذا الكتابِ.

هؤلاء اليهود والنَّصارى لو بقوا الليل والنهار يَركُعون ويَسجُدون ويخشَعون ويَبكون لكنَّهم على غير دِين محمد ﷺ، فلن يُقبَل منهم لأنَّهم كفرة؛ لذا يجبُ أن يتنبَّه شباب الأمَّة الإسلاميَّة لهذا الفِكر الخبيث القبيح الذي يُريد فاعله أو مَن يبثُّه شاء أم أبى أن يمحو دِين الإسلام، وأن يجعل الناس في هذه الأديان سواءً، ثم إنَّنا نحن لا نقرُّ أبدًا ولا نُوافق على أنَّ ما عليه اليهود والنصارى الآن دِين شرعَه الله أبدًا؛ لأنَّ دين اليهود والنَّصارى منسوخ أصلًا من عند الله عَزَّوَجَلَّ، ثم هو مُبدَّل ومُغيَّر ومَزِيد فيه ومنقوص، فهو دِين باطل على كلِّ حال، حتى وإن دانوا به لله عَزَّوَجَلَّ ورأوا أنهم يتقرَّبون إلى الله به، فإنَّ ذلك لا ينفعهم، والذي يعتقد أنَّ الشريعة النصرانية تُوصل إلى الله فهو كافرٌ لا شك، بل هي مُبْعِدَة عن الله عَزَّوَجَلَّ.

والمقدِّمةُ الأولى قد شهدَ بها الواقعُ شهادةً لا تَخفى على بصيرٍ ولا أعمى، مع أن الإفضاءَ أمرٌ طبيعيٌّ، قد اعتبرَهُ الشارعُ في عامَّةِ الذرائعِ التي سدَّها، كما قد ذَكرنا من الشواهدِ على ذلك نحوًا من ثلاثينَ أصلًا منصوصةً أو مجمعًا عليها في كتابِ «بطلان التحليلِ»[١].

الوجهُ الرابعُ: أن الأعيادَ والمواسمَ في الجملةِ لها منفعةٌ عظيمةٌ في دينِ الخلقِ ودنياهُم؛ كانتفاعِهم بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ، ولهذا جَاءتْ بها كلُّ شريعةٍ، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:٣٤]، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ﴾ [الحج:٦٧].

ثمَّ إنَّ الله شَرَعَ على لسانِ خاتمِ النَّبيينَ من الأعمالِ ما فيه صلاحُ الخلقِ على أتمِّ الوجوهِ، وهو الكمالُ المذكورُ في قولِهِ تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣] ولهذا أنزلَ اللهُ هذه الآيةَ في أعظمِ أعيادِ الأمَّةِ الحنيفيَّةِ، فإنَّه لا عيدَ في النوعِ أعظمُ من العيدِ الذي يَجتمعُ فيه المكانُ والزمانُ، وهو عيدُ النحرِ[٢]، ولا عينَ من أعيانِ هذا النوعِ أعظمُ من يومٍ كان قد أقامَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بعامَّةِ المسلمينَ، وقد نَفى اللهُ تعالى الكفرَ وأهلَهُ، والشرائعُ هي غذاءُ القلوبِ وقوتُها كما

---

[١] **قوله رحمه الله**: «كتاب إبطال التحليل» هذا كتابٌ مشهورٌ له رحمه الله؛ كتب فيه كتاباتٍ عظيمةً لا ينبغي لطالب العلم أن يجهلها.

[٢] نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يوم عرفة، وهو مقدِّمة عيد النحر، وهي أعظم ما اجتمع فيه المسلمون؛ لأنَّ المسلمين في هذا اليوم كلهم مجتمعون لم يشذَّ منه أحد، إذ يوم النحر لا شكَّ أنَّه اجتماع، لكن تجد هذا يرمي الجمرة، وهذا نزل ليطوف بالبيت، وذاك ذهب يطلب النحر، وما أشبه ذلك، لكن الاجتماع على عمل واحد موحَّد لا يوجد إلا في عرفة.

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُروى مرفوعًا: «**إِنَّ كُلَّ آدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى مَأْدُبَتُهُ وإِنَّ مَأْدُبَةَ اللهِ هي الْقُرْآنُ**»، ومن شأنِ الجسدِ إذا كانَ جائعًا فأخذَ من طعامٍ حاجتَهُ استغنَى عن طعامٍ آخرَ، حتى لا يأكُلَه -إن أكلَ منه- إلا بكراهَةٍ وتجشُّمٍ، ورُبَّما ضرَّهُ أكلُهُ أو لم يَنتفعْ بهِ، ولم يَكن هو المُغذِّي له الذي يُقيمُ بدنَهُ.

فالعبدُ إذا أخَذَ من غيرِ الأعمالِ المشروعةِ بعضَ حاجتِهِ قَلَّت رغبتُهُ في المشروعِ وانتفاعُهُ به، بقدرِ ما اعتاضَ من غيرِهِ، بخلافِ من صرفَ نهمتَهُ وهمَّتَهُ إلى المشروعِ، فإنَّه تَعظُمُ محبَّتُهُ له ومنفعتُهُ به، ويَتمُّ دينُهُ ويَكمُلُ إسلامُهُ[١].

ولذا تَجدُ مَن أكثرَ من سماعِ القصائدِ لطلبِ صلاحِ قلبِهِ تَنقصُ رغبتُهُ في سماعِ القرآنِ، حتى رُبَّما كرهَهُ[٢]، ومَن أكثرَ منَ السفرِ إلى زيارةِ المشاهِدِ ونحوِها لا يَبقى لحجِّ البيتِ المحرَّمِ في قلبِهِ من المحبَّةِ والتعظيمِ ما يكونُ في قلبِ من وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ.

---

[١] هذا حقٌّ، فلا شك أن النفوس إذا اشتغلت بشيء انشغلت به عن غيرها.

[٢] وهذه نقطة مهمَّة، بعض الناس تجدُ قلبَه يخشع عندما يسمع القصائد الوعظية أو ما يسمى الآن بالأناشيد الإسلامية، هذا لا شكَّ ينقص في قلبه من تعظيم القرآن بقدر ما زاد من تعظيم هذه القصائد، ثم تتعوَّد نفسه ألَّا يتَّعظ إلا بهذه الأشياء، فيَقِلُّ الاتِّعاظ بالقُرآن، وهذه نقطة يجب أن يتنبَّه لها الإنسان.

أمَّا في حال من الأحوال فلا حرج أن يستَمِع الإنسان إلى الرقائق من منشود أم منثور؛ لأنَّ الإنسان قد يملُّ، كما كان الإمام أحمد رحمه الله يدعو بعض المتصوفة ليُسمعه بعض الرقائق أحيانًا، لكن ليس دائمًا.

فهذه المسائل يجب على الإنسان أن يكون ملاحظًا قلبه مداويًا إذا رأى من قلبه أنَّه لا ينتفع إلا بهذه القصائد، فلينزع عنها وليتَّجه إلى القرآن، ومَن لم يعظه القرآن فلا خيرَ فيه؛

ومن أدمَنَ على أخذِ الحكمةِ والآدابِ من كلامِ حكماءِ فارسَ والرومِ لا يَبقى لحكمةِ الإسلامِ وآدابِهِ في قلبِهِ ذاكَ الموقعُ، ومَن أدْمَن قصصَ الملوكِ وسيرَهم لا يَبقى لقصصِ الأنبياءِ وسيرِهم في قلبِهِ ذاكَ الاهتمامُ، ونظيرُ هذا كثيرٌ.

ولهذا جاءَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «**ما ابتدعَ قومٌ بدعةً إلا نزعَ اللهُ عنهم من السُّنَّةِ مثلَها**» رَواه الإمامُ أحمدُ.

وهذا أمرٌ يَجدهُ مِن نفسِهِ من نَظرَ في حالِهِ من العلماءِ والعبادِ والأمراءِ والعامَّةِ وغيرِهم.

ولهذا عَظَّمَتِ الشريعةُ النكيرَ على من أحدَثَ البدعَ وكرَّهتَها؛ لأنَّ البدعَ لو خَرجَ الرجلُ منها كفافًا -لا عليه ولا لهُ- لكانَ الأمرُ خفيفًا، بل لا بدَّ أن يُوجبَ له فسادًا منه نقصُ منفعةِ الشريعةِ في حقِّهِ، إذِ القلبُ لا يتَّسعُ للعوضِ والمعَوَّضِ منه.

ولهذا قالَ ﷺ في العيدينِ الجاهليَّينِ: «**إنَّ اللهَ قد أبدَلَكُمْ بِهِمَا يومَيْنِ خَيْرًا مِنْهُما**» فيَبقى اغتذَاءُ قلبِهِ من هذه الأعمالِ المبتَدَعةِ مانعًا من الاغتذاءِ، أو من كمالِ الاغتذاءِ بتلكَ الأعمالِ النافعةِ الشرعيَّةِ، فيفسدُ عليه حالُهُ من حيثُ لا يَشعُر كما يَفسدُ جسدُ المغتَذي بالأغذيةِ الخبيثةِ مِن حيثُ لا يَشعُر.

وبهذا يتبيَّنُ لكَ بعضُ ضررِ البدعِ.

= قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، فالقرآن موعظة وشفاء، وبعض القصائد الوعظية قد يكون فيها موعظة أو فيها شفاء وقد لا تكون؛ قد يتأثَّر بها الإنسان حين سماعها أو حين قراءتها حاضرًا ولكنها لا تُغذِّي قلبه، لكن القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور، وهذه نقطة مهمة جدًّا، غفر الله لشيخ الإسلام رحمه الله.

إذا تبيَّنَ هذا فلا يَخفى ما جعلَ اللهُ في القلوبِ من التشوُّقِ إلى العيدِ والسرورِ به، والاهتمامِ بأمرِهِ اتفاقًا واجتماعاتٍ وراحةً، ولذَّةً وسرورًا، وكلُّ ذلكَ يُوجبُ تعظيمَهُ لتعلُّقِ الأغراضِ به، فلهذا جاءتِ الشريعةُ في العيدِ بإعلانِ ذكرِ اللهِ تعالى فيه، حتى جُعلَ فيه من التكبيرِ في صلاتِهِ وخطبتِهِ وغيرِ ذلك ما ليسَ في سائرِ الصلواتِ[١]، وأقامتْ فيه من تَعظيمِ اللهِ وتنزيلِ الرحمةِ فيه خصوصًا العيدَ الأكبرَ ما فيه صلاحُ الخَلقِ، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٧][٢].

---

[١] **قوله رحمه الله**: «حتى جعل فيه من التكبير في صلاته وخطبته...» إلى آخِره: أمَّا الصلاة فظاهر؛ لأنَّه يشرع زيادة التكبير في الركعة الأولى ست تكبيرات زائدة على تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمس تكبيرات بعد القيام، كذلك في خطبة العيد اختار كثيرٌ من العلماء رحمهم الله أن يبتَدِئَها بالتكبير لا بالحمد والثناء؛ استنادًا إلى حديثٍ مُرسَل أنَّ النبيَّ ﷺ كان يبتدئها بالتكبير(١).

واختار بعض العلماء رحمهم الله أن تُبْدَأ بالحمد والثناء؛ لأنَّ هذا غالب خُطَبِ النبيِّ ﷺ، لكن يُكْثِر في أثنائها من التكبير، وهذا ظاهر واضح، فالناس يُكبِّرون إذا خرجوا من البيوت إلى مُصلَّى العيد، ويزيدون في التكبير في الخطبة وفي الصلاة؛ ممَّا يدلُّ على تعظيم هذا اليوم.

مسألة: مَن يبدأ الخطبة بالبسملة يُنهَى عن ذلك، والأحسن أن يبدأ بالحمد.

[٢] قوله تعالى: ﴿رِجَالًا﴾ أي: على أَرْجُلِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: راكبين على كل ضامِر.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، رقم (٥٦٧٣).

فصارَ ما وُسِّعَ على النفوسِ فيه من العاداتِ الطبيعيَّةِ عَونًا على انتفاعِها بما خُصَّ به من العباداتِ الشرعيَّةِ، فإذا أُعطيَتِ النفوسُ في غيرِ ذلك اليومِ حظَّها أو بعضَهُ الذي يكونُ في عيدِ الله فَتَرَتْ عن الرغبةِ في عيدِ اللهِ، وزالَ ما كان له عندَها منَ المحبَّةِ والتعظيمِ فنقصَ بسببِ ذلك تأثيرُ العملِ الصالحِ فيه، فخَسرتِ النفوسُ خُسرانًا مُبينًا.

وأقلُّ الدرجاتِ: أنَّكَ لو فَرضتَ رجُلينِ أحدهما قدِ اجتمعَ اهتمامُهُ بأمرِ العيدِ على المشروعِ، والآخر: مهتمٌّ بهذا وبهذا، فإنَّكَ بالضرورةِ تجدُ المتجرِّدَ للمشروعِ أعظمَ اهتمامًا به من المشركِ بينَهُ وبين غيرِهِ، ومن لم يُدرك هذا فلغَفلتِهِ أو إعراضِهِ وهذا أمرٌ يعلَمُهُ من يعرفُ بعضَ أسرارِ الشرائعِ.

وأمَّا الإحساسُ بفتورِ الرغبةِ: فيجدُهُ كلُّ أحدٍ، فإنَّا نجدُ الرجلَ إذا كسا أولادَهُ، أو وَسَّعَ عليهم في بعضِ الأعيادِ المسخُوطَةِ، فلا بدَّ أن تنقصَ حرمةُ العيدِ المرضيِّ من قلوبِهم، حتى لو قِيلَ: بلْ في القلوبِ ما يَسعُ هذين، قيل: لو تَجرَّدتَ لأحدهما لكان أكملَ.

الوجهُ الخامسُ: أن مشابَهتَهم في بعضِ أعيادهم يُوجبُ سُرورَ قلوبِهم بما هم عليه منَ الباطلِ، خصوصًا إذا كانوا مَقهورينَ تحتَ ذلِّ الجِزيةِ والصَّغارِ، فرأوا المسلمينَ قد صَاروا فَرعًا لهم في خصائصِ دينِهم، فإنَّ ذلكَ يُوجبُ قوَّةَ قلوبِهم وانشِراحَ صُدورِهم، وربَّما أطمَعَهم ذلكَ في انتهازِ الفرصِ واستذلالِ الضعفاءِ، وهذا أيضًا أمرٌ محسوسٌ لا يَسْتَرِيبُ فيه عاقلٌ، فكيفَ يَجتمعُ ما يَقتضِي إكرامَهم بلا مُوجبٍ، مع شَرْعِ الصَّغارِ في حقِّهم؟[١]

---

[١] يعني: من مشروعية الصَّغار، وهذا الذي قاله رحمه الله هو الواقع أنَّ الكفَّار يفرحون إذا وافَقَهم المسلمون على شيءٍ من خصائصهم، ويرفعون رؤوسهم ويعتزُّون بذلك ويرَوْن هذا ذُلًّا للمسلمين.

.....

فمن هذا موافقتهم في اللغة وموافقتهم في التاريخ، وفي العادات وفي الألبسة، وفي غير ذلك، فلا تظن أنَّهم ينظُرون إلى المسألة الماديَّة فقط، بل وإلى المعنوية؛ لأنَّ كون المسلمين أذيالًا لهم وأتباعًا لهم -كما قال الشيخ رحمه الله- لا شكَّ أنَّ ذلك يعزهم ويرفع رؤوسهم، فلو أنَّنا رأينا أحدًا من العَجَم يتكلَّم اللغة العربية لرأينا ذلك فخرًا لنا وفرحنا به وسررنا به، فهم كذلك إذا رأوا العربي يتكلَّم بلغتهم -ولاسيما المسلم- فرحوا بهذا فرحًا عظيمًا، لكن مع الأسَف الشديد أنَّه لا يوجد في قلوب كثيرٍ من الناس عندنا نخوة ولا اهتمام بمثل هذه الأمور.

فالآن تمشي في بعض الأسواق التجارية تجد اللوحات الإرشادية تُكتَب باللغة الإنجليزية، حتى إنَّك تمرُّ بعدَّة محلات تجارية كبيرة ليس فيها إلا لوحات مكتوب عليها باللغة الإنجليزية، وهذه المسؤولية أوَّل ما تقع على البلديات، فالواجب على البلديات تتبُّع هؤلاء الأغرار الذي يجهلون مثل هذه الأشياء، وتمنع هذه اللوحات إلا باللغة العربية.

ونحن نسأل لو أنَّنا بحثنا في المسألة بقطع النظر عن الدِّين أو عدم الدِّين؛ فالمجتمع الآن هل هو مجتمع عربي أو غير عربي؟ **فالجواب**: أنَّه عربي، وأكثره العرب دُون شكٍّ، والبلد بلد عربي فكيف تُجعَل اللوحات باللغة الإنجليزية؟ هذا بقطع النظَر عن المسألة في الدِّين وأنَّ هذا يضر بالعقيدة في الواقع؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى إجلال هؤلاء وإكبار لغتهم.

فالواجب إزالة هذه الأشياء، وإذا اضطررنا في بلد ما فيه ناس كثيرون لا يعرفون اللغة العربية، واضطررنا لهذا نكتب لوحة ثانية صغيرة لا تساوي اللوحة العربية أو يكتب أسفلها، ثم إنَّ اللغة الآسيوية في كثيرٍ من البلاد الآن باعتبار العمالة ليست اللغة الإنجليزية، بل اللغة الأُرْدِيَّة أو ما أشبه ذلك، ومع ذلك لا يُقام لها رأسٌ، إنَّما يقام لهذه اللغة الكفرية التي هي لغة الكفَّار؛ لذلك يجب على أهل الإسلام أن يعتزُّوا بدينهم، وأن يكون للغتهم قِيمة ولدينهم قِيمة، وأن لا يتابعوا الناس كما تتبع الغنم مَن يَنْعِق بها.

الوجهُ السادسُ: أنَّ مما يفعلُونَهُ في عيدِهم: ما هوَ كفرٌ وما هوَ حرامٌ وما هو مباحٌ، لو تجرَّدَ عن مَفسدةِ المشابَهةِ، ثمَّ التمييزُ بينَ هذا وهذا يَظهرُ غالبًا وقد يَخفى على كثيرٍ من العامَّةِ؛ فالمشابَهةُ فيما لم يَظهرْ تَحريمُهُ للعالمِ يُوقعُ العامِّيَّ في أن يُشابِهَهم فيما هو حرامٌ، وهذا هو الواقعُ.

والفرقُ بين هذا الوجهِ ووجهِ الذريعةِ: أنَّا هناك قلنَا: الموافقةُ في القليلِ تدعو إلى الموافقةِ في الكثيرِ، وهنا جنسُ الموافقةِ يُلَبِّسُ على العامَّةِ دينَهم، حتى لا يُميِّزوا بين المعروفِ والمنكرِ، فذاك بيانٌ للاقتضاءِ من جهةِ تقاضي الطباعِ بإرادتِها، وهذا من جهةِ جهلِ القلوبِ باعتقاداتِها[١].

الوجهُ السابعُ: ما قرَّرتُه في وجهِ أصلِ المشابَهةِ: وذلك أنَّ اللهَ تعالى جَبَلَ بني آدمَ -بل سائرَ المخلوقاتِ- على التفاعلِ بين الشيئينِ المتشابِهينِ، وكلَّما كانتِ المشابَهةُ أكثرَ كانَ التفاعلُ في الأخلاقِ والصفاتِ أتمَّ، حتى يَؤول الأمرُ إلى أن لا يتميَّزَ أحدهما عن الآخرِ إلا بالعينِ فقط.

ولما كانَ بين الإنسانِ وبين الإنسانِ مشاركةٌ في الجنسِ الخاصِّ كان التفاعلُ فيه أشدَّ، ثم بينَهُ وبين سائرِ الحيوانِ مشاركةٌ في الجنسِ المتوسطِ فلا بدَّ من نوعِ تفاعلٍ بقَدرِه، ثم بينَهُ وبين النباتِ مشاركةٌ في الجنسِ البعيدِ مثلًا، فلا بدَّ من نوعٍ ما من المفَاعلةِ.

---

[١] هذا صحيح؛ لأنَّه ربما يكون في أعيادهم هذه ما هو كُفر ومعصية وما دون ذلك، وهذا الأخير الثالث أدنى ما به أنَّه مشابهةٌ، والعامِّيُّ لا يُفرِّق بين ما هو كفر أو معصية أو مُشابَهة، فيبقَى الإنسان جاهلًا ما هو الذي يؤدي إلى الكفر إذا شابهناهم فيه مثلًا؟ أو ما الذي يؤدِّي إلى المعصية؟ بخلاف سدِّ الذرائع، فالذرائع تُوصِل إلى محرَّم، لكن هذا اشتباه بين المحرَّم وبين الحلال مع أنَّ الحلال فيه مفسدة وهي المشابهة.